المقاييس الفنية في تقديم الشاعر عند نقاد الأدب القدامى

امرؤ القيس والنابغة الذبياني أنموذجا.

The artistical measure's of the presentation of the poet on the old critical literature Imroe Elkays and Annabigha Addobyani are a model .

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 15/ العدد 02 –السنة 2021 ص ص 383–410
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8152

تاريخ الاستلام: 2021/09/07 تاريخ القبول: 2021/11/16 تاريخ النشر: 2022/01/02

د. سميــر سوالميـــــة *
جامعة 20 أوت 1955–سكيكدة (الجزائر)
Email : Samir.soualmia@hotmail.com

ملخص:

لقد كان النقد في الجاهلية عفويا، فقد ظل النقاد يحتكمون في نقدهم للشعراء إلى ذوقهم الذاتي، وبقـــي الأمر كذلك لغاية العصر العباسي، أين وضع النقاد في تقديمهم للشعراء جملة من المقاييس الفنية الجمالية، والتي تشكل الخصائص الفنية التي يرتكز عليها الشاعر في إبراز شاعريته، خاصة عند ابن سلام الجمحي وابن رشيق وغيرهما من النقاد.

وإذا كان امرؤ القيس والنابغة الذبياني يعدان من أجود شعراء الجاهلية عامة وشعراء المعلقات خاصة، فقد ارتأيت أن أتتبع نظرة النقاد القدامى في شعريهما، من خلال إبراز الجوانب الفنية المميزة في شعر كل شاعر، كابتداع طرائق تعبيرية جديدة، و جودة التشبيهات، بالإضافة إلى حسن ديباجة الشعر وجزالته.

الكلمات المفتاحية : مقاييس، الشاعر، نقاد، امرؤ القيس، النابغة الذبياني.

Abstract

The critique in ignorance has been spontaneous. Critics have been controlling their criticism of poets to their own taste , This remained the case until the Abbasid era. when critics depended in presenting poets , on soma es thetic standards which are the artistic properties that the poet dependson to show his poeticalness especiady for Ibn Salem El jomahi , Ibn Rachik and of her critics.

As long as Imroe Elkays and the Annabigha Addobyani wer considered as the best poets of the pre- islamic ere generally , and the pendants poets specifically , this current study tends to follow the ancient criticis' vision in their poetry through following the bold artistic aspects in the poets' poetry as showing the formula and new expressive methods, an analogue quality and the good preamble and abundance.

Keywords*: measure's, the poet, Critics, Imroe Elkays Annabigha Addobyani .*

* المرسل المؤلف

مقدمة:

لقد كان الحكم على الشاعر في الجاهلية ذاتيا، النقاد كانوا يّقدمون الشعراء ويؤخرونهم بصورة ارتجالية، بعيدا عن أسس موضوعية واضحة، وبقي الأمر كذلك حتى مجيء النقاد اللغويين أواخر القرن الأول الهجري، وكذا نقاد الأدب في القرن الثاني الهجري الذين أرسوا للنقد الأدبي قواعد وأصول بنيت على قواعد علمية، وخاصة ابن سلام الجمحي، الذي كان أول ناقد أدبي يؤلف كتابا في النقد أسماه" طبقات فحول الشعراء"، بحيث درس الشعراء دراسة علمية مبنية على أسس ومعايير فنية بدءا بالشعراء الجاهليين فالإسلاميين، فكان ترتيبه للشعراء في طبقات مستمدا من معايير فنية واضحة، جعلته يقدّم هذا ويؤخر ذاك، الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن هذه المقاييس الفنية التي اعتمدها نقادنا القدامى في تقديمهم للشاعرين: امرئ القيس والنابغة الذبياني؟ وهل هذه المقاييس كفيلة بتقديم الشاعرين وجعلهما في الطبقة الأولى الجاهلية؟

هل تكمن هذه المقاييس في جودة الألفاظ؟ أم في حسن اختيار المعاني؟ أم في كليهما معا؟ أم أن ثمة مقاييس أخرى اعتمدها نقادنا القدامى فقدموا على إثرها الشاعرين: امرئ القيس والنابغة الذبياني.

1 **المقاييس الفنية في تقديم امرئ القيس:**

من خلال تتبعنا لما أورده نقاد القرن الثاني عن امرئ القيس من حجج، وما قال فيه العلماء، يمكننا استخلاص مقياسين بارزين هما: السبق والابتداع، وجودة التشّبيه.

1.1 الابتكار والابتداع :

وهو يعني أن يسبق الشاعر في شعره إلى طرائق تعبيريه لم يطرقها الشعراء قبله، فكان أول من ابتدعــها وابتكرها، لذا أقر ابن سلام بالحجج التي أوردها علماء

البصرة بالإجماع حول امرئ القيس، فهو في نظرهم قد أحرز على فضيلة السَّبق في التعبير وأساليب الصيَّاغة، يقول ابن سلام: « فاحتج لامرئ القيس من يقدّمه قال: ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب، واتبعته فيها الشعراء، استيقاف صحبه، والتبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ، وشبّه النساء بالظباء والبيض، وشبّه الخيل بالعقبـــان والعصي، وقيّد الأوابد، وأجاد في التشبيه ،وفصل بين النسيب وبين المعنى ». (**الجمحي،2001، ص54**).

واضح من كلام ابن سلام هذا، أن السّبب الذي جعله يضع امرأ القيس على رأس الطبقة الأولى الجاهلية، يكمن في كونه قد سبق جميع الشّعراء إلى فنون تعبيرية جديدة، فهو أوّل من وقف واستوقف، وبكى واستبـكى، وذكر الحبيب، كما أنه أوّل من فطن إلى ألوان جديدة في التشبيه، استمدَّها من بيئته البدوية، كتشبيـــه النســـاء بالظباء والبيض، وتشبيه الخيل بالعقبان والعصي، إضافة لكل ذلك، فهو أول من جعل قيودا للأوابد، وأجاد في فن التشبيه، وفصل بين النسيب وبين المعنى.

وعليه فأفضلية الشَّاعر امرئ القيس تكمن في كونه سبق الشّعراء إلى أبواب تعبيرية جديدة كثـيرة، بحيث تصّرف بمعانيها العديدة، وسّن لمن جاء بعده طرقا وأساليب ابتدعها فتبعوه فيها، فلم يـــزالوا معجـبين بمطالع قصائده الجميلة، فكان « أول من شخص الأطلال وناجاها، وبكى من ذكر الأحبّة، وتبسط في مواضيع الغزل الرقيقة، مع إطالة الوصف، واستيفاء جميع صّوره». (**الحسين، 2006، ص 339**).

ولعل أكثر قصائده من هذه المبتدعات معلقته الشَّهيرة، إذ نجده قد وقف واستوقف في أولّها، وبـكى واستبكى، وقيّد الأوابد بوصفه سرعة الفرس التي تجعله كالقيد للوحوش؛ لأنه كان يدركها بسرعة عظيمة تحول بينها وبين الفرار. وفي هذا يقول في مطلع معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدَّخول فحومل (**القيس، 1989، ص 12**).

قيل : « إنَّ هذا أعظم ابتداء وضعه شاعر لأنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل في مصرع واحد». (**القيرواني، 1981، ص 85**).

عدّ القدماء هذا المطلع من مبتكرات امرئ القيس، إذ وقف واستوقف، وبكى وأبكى من معه، وذكر الحبيب والمنزل، ثم أخذ يصّور كيف كان أصحابه يحاولون التنفيس عنه وهو غارق في ذكرياته وبكائه، وإرسال زفراته؛ لينتقل بعدها انتقالا سريعا يقص علينا مغامراته مع النّساء.وهذا "بدارة جلجل".

من هنا يتضح سر تفضيل العلماء والرواة النقاد وحتى الشعراء أنفسهم امرأ القيس، فهو سبق إلى فنون تعبيرية غير معهودة. فها هو الشاعر لبيد بن ربيعة، لما سئل عن أشعر الشعراء، قال:«أشعر الناس ذو القروح:يعني امرئ القيس». (**بن قتيبة، 1981، ص41**).

كما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى حجّة من فضلّه بقوله: « إنّه أوّل من فتح الشّعر واستوقف، وبكى في اللّمن ووصف ما فيها، قال: "دع ذا" رغبة عن المشبه، فتبعوا أثره، وهو أول من شبه الخيل بالعصا و اللّقوة والسباع والظباء والطير، فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الأوصاف. » (**بن قتيبة، 1981، ص55**).

فهؤلاء العلماء، الذين فضلوا امرأ القيس، نظروا في شعره، فوجدوه قد اتصف بلمحات إبداعية لم يسبقه غيره إليها، فهو أوّل من وقف على الأطلال وبكاها، فتبعوا أثره، كما أنه أوّل من شبه الخيل بالعصا، وببعض أنواع الطيور فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الأوصاف.

كما أشاد أبو عبيدة بامرئ القيس الذي عدّ أوّل من قيّد الأوابد « هو أوّل من قيّد الأوابد، يعني في قوله في وصف الفرس:

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل»

(**بن قتيبة، 1981، ص56**).

وعليه فامرؤ القيس عمل على "تقييد الأوابد"، وهي من الألفاظ الشريفة، والصور البـديعة، حـيث أنه إذا أرسل هذا الفرس على الصيد صار قيدا لها، وكانت بحال المقيد من جهة سرعة عدوه، وقد اقتدى به الناس، وتبعه الشعراء، فقيل: قيد الكلام، قيد الحديث، قيد الرهان....

قال أبو تمام:

لها منظر قيد الأوابد لم يزل يروح ويغدو في خفارته الحب

(**أبو تمام، 1997، ص140**).

قال غيره « هو أول من شبه الثغر في لونه بشوك السيال، فقال:

منابته مثل السدوس ولونه كشوك السّيال وهو عذب يفيض

فتبعه الناس، وأوّل من قال،فعادى عداء في بيته فاتّبعه النّاس.» (**بن قتيبة، 1981، ص59**).

وهذا البيت في قوله:

فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكا فلم ينضح بماء فيغسل.

(**القيس، 1989، ص 34**).

لقد استقى امرؤ القيس هذه المعاني الفنية الجديدة من بيئته الصحراوية، هذه البيئة برمالها وخشونتها، عملت على التأثير في عقول من عاشوا بها، فالعرب قديما كانوا أصحاب خيام يتنقلون من موضع لآخـر تتـبعا لمنابت السقط. (**ينظر: محمود**

صابر، 2006، ص 54)، فلا ضير أن نجد أشعارهم تبدأ بذكر الدّيار، التي تمثل منـــازلهم، لينتقل بعدها إلى وصف الّرحلة، وتوقيع البين، والإشفاق منه، هذه التقاليد الجاهلية أثرت فيــها وفي نقادهــم من بعد، فكما استطاع الشاعر أن يعبر عنها في صدق وقوة نال الحظوة لدى النقاد الـــذين تربى ذوقهــم على هــذه المعاني، وتلك الصّور المحيطة بهم، فكان امرؤ القيس المبرز والّرائد في هذا المجال.

لقد كان امرؤ القيس الّرائد في فنون الشعر العربي، وقد استحق هذه الريادة لابتداعه أساليب وصيغ تعبيرية جديدة، اعتمدها امرؤ القيس، وسار على نهجه الشعراء من بعده، فــكان بذلك إمـــامهم وقــائدهم في ذلك.

فمما ابتدعه من صور فنية بديعة أن شبّه النّساء بالظباء، وهذا في قوله في معلقته:

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصّته ولا بمعطل

(**الزوزني، 2005، ص17**).

فقد شبّه الشّاعر عنق محبوبته بعنق الظبية في حال رفعها، ما يدلّ على اعتداله، وعدم طوله، إلا أنَّ عنق امرأته يفضل عنق الظبية الذي خلا من الحلي، على غرار عنق محبوبته فهو غير معطل عن الحلي.

وهكذا أبدع امرؤ القيس في وصف النساء، وتفنّن في تشبيههن بمشبهات مختلفة، استمدها من بيئته البدوية التي تحمل في طيّاتها العديد من المعاني الرائعة، والصّور البديعة، فهو لم يكتف بتشبيه المرأة بالظبية فحسب، بــل ذهب إلى أبعد من ذلك، بحيث شبّهها بالبيضة، وهذا في قوله في معلقته أيضا:

وبيضة خدر لا يُرام خباؤها تمتّعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعجلِ

(**الزوزني، 2005، ص13**).

فالشّاعر هنا يشبّه المرأة التي لزمت خدرها بالبيضة، وفي هذا صورة فنيّة بديعة ابتكرها امرؤ القيس، وأعجب بها غير قليل من النّقاد، حيث قدّموه على سائر الشّعراء إذ يشبّه النّساء بالبيض، لوجود علاقة بين المشبه والمشبه به، فالنساء تشبه البيض من ثلاثة أوجه: « بالصّحة والسَلامة من الطمث، والثاني في الصيَّانة والسّتر، وهذا لصون الطائر بيضه وحضنه له،والثّالث: في صفاء اللّون ونقائه؛ لأن البيض يكون صافي اللون نقيّه إذا كان تحت الطائر» (**الزوزني، 2005، ص13**).

وعليه فامرؤ القيس شبّه المرأة بالبيض في سلامتها من الافتضاض أو في الصّون والسّتر، أو في صفاء اللّون ونقائه، وهذه صورة فنية رائعة ابتدعها امرؤ القيس، ليعبر من خلالها عن جمال المرأة العربية، سواء أكان جمالا حسيًّا من حيث صفاء لونها، أو جمالا معنويا، فهي امرأة مصونة تلازم خدرها ولا تبرحه.

إضافة إلى براعة امرئ القيس في وصف النّساء وتشبيههن بالبيض والظباء، فقد كان أبرع شعراء الجاهلية قي وصف الخيل، الذي أبدعه بصورة شبه أسطورية؛ بحيث وصف سرعته بجانب وخلقته بجانب آخر، أما عن سرعته فذكر أنّه يغدو به بكرة مرحا نشيطا سريع العدو، إذا أدرك قطيعا من الأوابد كان كالقيد لها، لا تستطيع منه إفلاتا؛ لأنه يسبقها فيمنعها من الفوت، وهو ضخم شديد الحركة، مكر لا يسبق، مفر لا يلحق، مقبل حين تريد إقباله، فلا يصد، مدبر إذا رغبت في إدباره، فلا يرد، يفّر ويكّر في الوقت نفسه، يقبل ويدبر في آن واحد، كأنَّه في سرعته وصلابته جلمود صخر هوى به السَّيل من قمَّة جبل مرتفع.

لقد استقى امرؤ القيس هذه المعاني الفنيَّة من بيئته البدوية، مما ينبِئ على أنه شاعر خبير بشؤون بيئته، يتلاعب بالمعاني والصّور كما يشاء، دقيق في تشبيهاته وأوصافه، استطاع أن يجد لنفسه مكانة عالية في عالم الشعر، وهذا لاتصاف

شعره بالرقة، وسلاسة الأسلوب، فكأنك أنت أمام شاعر يصّور لك قصّة مرئية، لا تقرأ أبياتا مكتوبة.

«فقد سبق وأن اجتمع عند عبد الملك أشراف من النّاس والشّعراء، فسألهم عن أرقّ بيت قالته العرب، فاجتمعوا على بيت امرئ القيس:

وما ذرفت عيناك إلاّ لتضربي بسهميك في أعشار قلبٌ مقتَّلِ »

(**بن قتيبة، 1981، ص47**).

يعدّ هذا البيت أرق بيت قالته العرب، لما فيه من المذله للمعشوق، فهو يصور شدّة محبته ومذلته لمعشوقه بقوله: وما بكيت وذرفت دموعك إلاّ لتملكي قلبي كله، وتفوزي بجميع أعشاره، وتذهبي بكله.

كما أشاد أبو عبيدة بشعر امرئ القيس، وعدّه أّول من فتح الشعر، فقال: « فتح الشعر بامرئ القيس، وختم بذي الّرمة ». (**القرشي،1967، ص 107**).

و روي عن النبي ﷺ في امرؤ القيس: « أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار». (**القرشي،1967، ص 56**). - يعني شعراء الجاهلية و المشركين – قال دعبل الخزاعي: ولا يقود قوما إلا أميرهم.

فالنبي ﷺ فضل امرأ القيس على سائر الشعراء لما في شعره من صيغ تعبيرية بديعة، جعلت الشعراء يقفون حائرين أمام هذا الإبداع الرائع، أّما أنه قائد الشعراء إلى النار فهذا لما في شعره من تعهــر وفسق.

كما فضّله علّي رضي الله عنه، معللا ذلك بقوله: « رأيته أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة وأنه لم يقل لرغبة، ولا لرهبة.» (**بن قتيبة، 1981، ص47**).

فعلّي –رضي الله عنه– قدّم امرأ القيس لأنه كان أشعر الشّعراء في معلقته، لا شتمالها على معاني وصيغ تعبيرية لم تكن لتتوفر عند غيره من الشّعراء، كما لم ينظم أحدا

قصيدة على شاكلتها، إضافة إلى كل ذلك، فقد كان شاعرا سليقيا، غير مدفوع بدوافع لقول الشعر لا لرغبة في النيل والعطاء، ولا لخوف من ملك أو غيره، وهذه مزية قلما تجرد منها الشّعراء، فأغلبهم كانت تدفعهم في ذلك دوافع ومحفّزات لقول الشّعر.

كما روى الجمحي:« أنّ سائلا سأل الفرزدق: من أشعر الناس؟ قال: ذو القروح: يعني: امرأ القيس، قال حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول:

وقاهم جدّهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب»

(**القيرواني، 1981، ص84**).

« وكانت العرب إنما تفاضل بين الشّعراء في الجودة والحسن، وشـــرف المعنى وصحَّتـــه، وجـــزالة اللّفظ واستقامته، وتسلم السّبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبَّه فقارب، وأبده فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله، وشوارد أبياته، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة، إذا حصـــل لها عمـــود الشّعر ونظام القريض.» (**الجرجاني، 1966، ص123**).

إن استحسان شعر امرئ القيس والإشادة به لم يتوقف عند نقّـــاد الأدب فحسب، بل وجـــد أيضا من الشّعراء من هو معجب بشعر امرئ القيس، مفضّلا إياه على سائر الشّعراء، ومن هؤلاء دعبل الخزاعي، فقد قدّمه لجودته الفنية، وإصابته في الوصف، من ذلك قوله في وصف عقاب:

«ويلمها من هواء الجو طالبة ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

فهذا عنده أشعر بيت قالته العرب.». (**القيرواني، 1981، ص84**).

ولعل جودة الوصف، وحسن التشابيه، ودقة المعاني التي عرف بها، جعلت أهل الأدب والشعـــر في القـــرون الماضية يفضلونه على سائر الشعراء، ويعتبر أبو بكر

الباقلاني (403هـ) خير شاهد على ذلك، حيث كان حكمه فيه: « وأنت لا تشكّ في جودة شعر امرئ القيس، ولا ترتاب في براعته، ولا تتوقف في فصاحته، وتعلم أنه قـــد أبدع في طرق الشّعر أمورا اتّبع فيها، من ذكر الدّيار، والوقوف عليها، إلى ما يصـــل بذلك من البـديع الـــذي أبدعه، والتّشبيه الذي أحدثه، والتميع الذي يوجد في شعره، والتصرف الكثير الذي تصادفه في قوله، والوجوه التي ينقسم إليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وغلو ومتانة ورقة وأسباب تحمد، وأمـور تؤثر وتمـــدح. وقـــد ترى الأدباء يوازنون بشعره فلانا وفلانا » (**الباقلاني، 1997، ص98**).

وهكذا امتاز شعر امرئ القيس بالبراعة والإبداع، فكان أوّل من ذكر الديار، ووقف عليها فتبعه الشعراء، كما أنه أحدث ألوانا عدّة في التشبيه، جعلت من أحد علماء الإعجاز القرآني، وحتى النّقاد والشّعراء يعجبون به ويقدمونه على سائر الشعراء.

2.1 جودة التَّشبيه:

يلحظ المتأمل أنّ إحسان الشّاعر التّشبيه، يعد أساسا واضحا من أسس الإجـــادة التي تسجـل للشّاعر وسيتّضح فيما بعد كيف غدت "إجادة التشبيه" أساساً من أسس عمود الشعر عند العرب، وبفضل هذه الصّفة قدّم غير قليل من العلماء والنّقاد امرأ القيس، وهذا لما يمتاز به شعره من تشبيه رائع، كان له الأثر البالغ في نفوس المتلقين.

لقد أشاد ابن سلام بتشبيهات امرئ القيس ،إذ عدّه أفضل طبقته في هذه الصّنعة الفنيّة، فقال: «كان أحسن أهل طبقته تشبيها، وأحسن الإسلاميين تشبيها ذو الرّمة ». (**الجمحي،2001، ص ص82،81**).

فابن سلام اعتمدا على ذوقه الخاص، كان يرى أن امرأ القيس هو المقدّم على جميع شعراء الجاهلية، وهذا من حيث جودة التَّشبيه، كما كان ذو الّرمة أحسن الإسلاميين في ذلك.

إنّ ابن سلام وهو يشيد بتقديم امرئ القيس في هذه الأساليب التعبيرية البديعة، لم يكن ليعتمد على ذوقه الخاص فحسب، بل استند في ذلك على أذواق غيره من العلماء والخبيرين بالشّعر. وفي هذا يقول: «واستحسن الناس من تشبيه امرئ القيس:

كأنّ قلوب الطّير رطبا ويابسا   لدى وكرها العنّاب والحشف البالي»

(**الجمحي**، **2001**، **ص81**).

عدّ هذا البيت من أجود تشبيهات امرئ القيس في وصف عقاب، إذ شبَّه شيئين بشيئين في بيت واحد، فكان أول شاعر يفعل ذلك.

وقوله: *«كأني بفتخاء الجناحين لـقـوة   دفوف من العقبان طأطأت شملال*

وقوله: *بعجلزة قد أترز الجري لحمها   كميت، كأنّها هـراوة منوال*

وقوله: *وصمّ حوامٍ ما يقين من الوجى   كأنّ مكان الّردف منها على رال »*

(**الجمحي**، **2001**، **ص ص81**، **82**).

وعليه فقد استحسن النّاس هذه الأبيات في وصف الفرس، بحيث شبّهها في البيت الأول بالعقاب، وهذا للين جناحيها وسرعتها وخفّتها، أّما في البيت الثّاني فقد شبهها بالمنوال الّذي يتخذ عصاه من أصلب الخشب وأملسه، لذا فهو يصف فرسه بأنهاصلبة شديدة، ناعمة الإملاس، في حين نجده في البيت الثّالث يصف فرسا آخر ذكرا، كان يركبه للغارة بأنه صلب الحوافر.

من هنا يتَّضح أن امرأ القيس قد أبدع في وصف فرسه، وهذا من خلال تشبيهه بمشبهات مختلفة صّورت فرسه في صورة رائعة نالت إعجاب جميع النّقاد. ومن تشبيهاته أيضا التي فاق فيها أقرانه، فكان أّول من ولج هذا الباب، أن شبّه أربعة بأربعة في قوله:

«له أيطلا ظبي، وساقا نعامة وإرخاءّ سرحان وتقريب تتفلُ »

(**الجمحي،2001، ص84**).

فقد شبه الشاعر خاصرتي هذا الفرس بخاصرتي الضبي في الضمر، وشبّه ساقيه بساقي النعامة في الانتصاب والطول، وعدوه بإرخاء الذئب، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب، فجمع أربع تشبيهات في هذا البيت.

ونبقى مع جيد تشبيهات امرئ القيس، لنقف عند تصويره للمرأة مشبها إياها بالنار في قوله:

نظرت إليها والنّجوم كأنّها مصابيح رهبان تُشَبّبُ لقفّالِ

(**الجمحي،2001، ص82**).

لقد وصف امرؤ القيس المرأة، مشبها إياها بالنّار في جمالها وتوقّدها، كأنّها تقوده وتهديه إليها، في ليلة مظلمة، فكانت المرأة بمثابة مصابيح رهبان في صحراء قاحلة يهتدي بها المسافرون ذاهبين وآيبين.

إن جودة تشبيهات امرئ القيس لم تكن لتتوقف عند هذا الحد، فها هو هنا يصور صورة أخرى، صّور من خلالها صيد بقر الوحش أحسن تصوير، وهذا في قوله:

كأنّ الصّوار، إذ تجاهدون غدوة على جمزى، خيلٌ تجولُ بأَجْلاَ لِ

(**الجمحي،2001، ص83**).

فقد شبّـه صيلبقر الوحش، وهي تعدوا من بعيد بخيل مجلّله مزيّنه، قد أسرعت فجالت عليها أجلالها البيض، وهذا تشبيها لحركة عدوها وهي تخطف خطفا.

وعليه فابن سلام كان يرى في امرئ القيس أنه أحسن أهل طبقته تشبيها، ثم يورد لنا نماذج عديدة لتلك التَّشبيهات دون تحليل أو تعليل، وهذا لعدم حاجة أهل عصره لذلك، فقد كانوا على دراية واسعة بالشّعر، من هذه التّشبيهات قوله في وصف فرسه:

بذي ميعة، كأنّ أدنى سقاطه — وتقريبه، هونا، دآليل ثعلـــب
عظيم، طويل، مطمئنٌّ، كأنّه — بأسفلِ ذيَ مأْوان، سرَحة مرقب
له جؤجو حشْو كأنَّ لجِ ـَ ـَامه ـُ — يُ عالَى به في رأسِ جذعٍ مَشَذَّبِ

(**الجمحي**،**2001**، **ص90**).

وتتضح ما لهذه التشبيهات من قيمة فنيّة رائعة، وهذا لما حقّقه الشاّعر فيها من المقاربة بين المشبه والمشبه به، ومن وراء هذا يلوح أثر البيئة التي يستقي منها الشّاعر تشبيهاته، ويتّفق النّقاد على صحّة التّشبيه وجماله في هذه الأبيات. (**صابر**، **2000**، **ص 70**).

وزعم قدامة أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما، حتى يدني بهما إلى حال الاتّحاد، وأنشد في ذلك وهو عنده أفضل التشبيه كافة :

له أيطلا ظبي وساقا نعامة — وإرخاء سرحان وتقريب تتفل (**بن جعفر**، **1963**، **ص 113**).

فقد شبه أعضاء بأعضاء هي بعينها، وأفعال بأفعال هي بعينها، إلا أنها من حيوان مختلف، وفي هذا قمَّة التشبيه، الأمر الذي جعل من شعر امرئ القيس مثيرا للدرس والتأّمل منذ القدم، لذا استخرج منه الدارّسون العديد من المواطن اللافتة التي تجود فيها فنون البيان، والبديع والإيحاء.

كما امتاز بقدرة فائقة على التّشبيه، واقتناص الصّور القريبة الجميلة كقوله يصف فرسه في سرعة الكر والفر:

مكّر مفّر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطّه السّيل منعُ لِ (**الجمحي،2001، ص83**).

فهذا الفرس مكّر إذا أريد منه الكّر، مفّر إذا أريد منه الفّر، مقبل إذا أريد منه إقبال، مدبر إذا أريد منه إدبار، هذه الصّفات الأربع لفرسه مجتمعه في قّوته، ولقوته شبهه في سرعته بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عال إلى حضيض.

وقوله في موقف الوادع يصف بكاءه على فراق محبوبته

كأني غداة البين حين تّحملوا لدى سَمُرات الحّين ناقف حنظَلِ

(**الجمحي،2001، ص83**).

يصف هيئة وقوفه تحت ظلال شجر الطلح، ينظر إلى أهل صاحبته وهم على وشك الرَّحيل، فهو منكّس الرأس، مستسلم لما هو فيه، يفتل أصابعه ليخفي لواعج قلبه، ودمعه منهمر لا يملك ردّه، ولا يحاول كفكفته بيد أو رداء، لذا شبه نفسه بنافق الحنظل.

وعليه فقد كان هذا الإبداع الفني الذي ميّز شعر امرئ القيس أن جعل من النقاد يشيدون به، ويعرفون قدره في الشعر، فقد اعتبروه إمام الشُّعراء ومسدد خطاهم إلى فنون التعبير والتشبيه. (**سلام، 1990، ص 194**).

لقد اشتهر امرؤ القيس بإجادة الوصف، وخاصة وصف الخيل، فقد علّم الشعراء كيف اشتهر امرؤ القيس بإجادة الوصف، فقد علّمهم كيف يتحدثون عن الخيل، مما يدل على أن مـكانة امرئ القيس ليست مـرهونة بجـودة تفكيره فحسب، وإنما استطاع أن يغزو عقول الشعراء في كل ما قال، سـواء في مـوضوع الخيـل أو غيـره من الموضوعات (**ناصف، 1981، ص 77**).

والذي يريد أن يقدر صنيع امرئ القيس، عليه تتبع صنع الشعراء بعده في الخيل، وسيرى أنهم لم يقدروا على الانفكاك من أسره، فقد فتح لهم أبواب المعاني حتى يدخلوا منها، لذا وجدنا الشعراء من بعده من وصف الخيل، قد اقتبسوا معانيه.

2 المقاييس الفنية في شعر النابغة الذبياني:

لقداعتمد ابن سلام على حجج من سبقه من العلماء في تفضيلهم النّابغة الذّبياني، فهو في نظـرهم المقدّم والمبرز، وهذا لاتّصاف شعره بجملة من المقاييس الفنّية والجمالية، جعلت من علماء الكوفة يقدّمونه على سائر الشّعراء. فمن خلال تتبعنا لما أورده ابن سلام وغيره من النقاد القدامى عن النّابغة الذّبياني يمكن استنتاج معيارين فنيين بارزين هما: جودة الديباجة وكثرة رونق الكلام، وجزالة شعره.

1.2 جودة الديباجة وكثرة رونق الكلام:

تعدّ جودة الدّيباجة وكثرة رونق الكلام أحد أبرز المعايير الفنية التي أهّلت النّابغـة لأن يتبوّأ هـذه المكانة ضمن شعراء الطبقة الأولى الجاهلية، وهذا لاتصاف شعره بالحسن والزينة يلحظه متلقي الشّعر، إذ يولد في نفسه حالاً من النّشوة تشبه حال من يلمس الدّيباج أو يمعن النظر إليه. الأمر نفسه في الشّعر الكثير الماء والرّونق، فإنه يبعث في النّفس إحساساً يشبه إحساس من يبصر رونق السّيف ونضارة الشّباب وإشراقه.

وعلى هذا الأساس قدّم بعضهم النّابغة، يقول ابن سلام « وقال من احتجّ للنابغة: كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام... » (**الجمحي،2001، ص56**).

إنّ جودة الديباجة وكثرة الماء والّرونق، تعنيــان الحســن والطلاوة والّزينة الأسلــوبية، المعتمــدة على جرس الألفاظ وعذوبة أصدائها في النَّفس. (**العاكوب، 1997، ص 136**).

ويبدو أن مرجع هذه الجمالية لدى الشّاعر قّوة طبعه، وتمكّنه من أسباب الصّنعة، وفي هذا إشارة إلى كثرة ممارسة الشّعر ومدارسته، وهي أيضا إشارة إلى المعاناة والتَّجربة، إذ تنبئ عن فطنة ابن سلام وخبرته الفنيَّة في إدراك أثر التّجربة والمعاناة في إغناء موهبة الشّاعر.

ويذهب أبو عبيدة إلى تفضيل النّابغة الذّبياني معتمدا هو الآخر على حجج العلماء الرواة، وهـــذا بقوله: «هو أوضحهم كلاما، وأقلّهم سقطا وحشوا، وأجودهم مقاطع، وأحسنهم مطالع، ولشعـــره ديباجـــة، إن شئت قلت ليس بشعر مؤلف من تأنّثه و لينه، وإن شئت قلت صخرة لو رديت بها الجبال لأزالته».
(**بن قتيبة، 1981، ص52**).

من هنا يتّضح أنّ شعر النّابغة الذّبياني يقترب في ذوقه مـن المدرســة الأوسيــة، التي اشتهـرت عنــد القدماء بالتّنقيح والتجويد، فهو لا يقبل كل ما يفد على خاطره، بل لا يزال يثقفه، ويصقله حتى يستوي له اللفــظ الموثق والديباجة الجزلة، فقد أتيح له أن يعيش في بيئتين متحضرتين همــا: الحيرة، وبــلاط الغساسنة، فّرق ذوقه، وسهــل منطقه ولفظه.

إن الدّارس لشعر النّابغة يجده يفصح عن مهارة فائقة في صوغ القصيدة ونظمها، سواء من حيث ألفاظه، أو من حيث صّوره ومعانيه، أما من حيث الألفاظ فإنّك لا تقع منها على لفظة نابية، بل تجد الألفاظ المحكمة المستخدمة في دلالتها الدقيقة، فهو حين يمدح الملوك أو يعتـــذر إليهـــم فإنه يستخـــدم الألفاظ المأنوســة الجزلة النَّاعمة.

هذه البراعة الفائقة عنده جعلت نقاد الأدب الأوائل يشيدون به؛ لحسن ديباجة شعره ورونق كلامه وتزيينه. فإذا كان النابغة يعني بألفاظه عناية راعت السَّابقين، فإنه يعني كذلك بمعانيه، مما أتاحت له ضربـــا مـــــن ترتيب أفكاره، ويتضح ذلك في تنسيق موضوعات قصائده، ففي معلقته مثلا، نجده يخرج من النَّسيب إلى وصف ناقته خروجا تسنده المناسبة (**ضيف، 2008، ص 298**) ، حتى إذا أتم هذا الوصف قال:

قتلك تبلغني النعمان إنّ له فضلا على النّاس في الأدنى وفي البعد. (**الذبياني، 2004، ص 52**).

الأمر نفسه صنعه في اعتذاراته العينية، فقد خرج من النسيب إلى الاعتذار خروجا متصلا، بحيث قال أن سبب كفه عن الحب والتشبيب هو شيبه، ولما يعانيه من هموم وأحزان:

وقد حال همٌّ ، دون ذلك شاغ لٌ مكان الشفاف، تبتغيه الأصابُع
وعيدُ أبي قابوس، في غير كنهه أتاني، ودوني راكسٌ، فالضَّواجُع.

(**الذبياني، 2004، ص 122**).

لقد عدّ النّابغة الذبياني أشعر الشعراء في الجاهلية إذا رهب، مستدلين على صدق ذلك من شعره، وهذا من خلال مجموعة قصائده التي قالها، معتذرا فيها

للنعمان بن المنذر، طالبا منه الصّفح والمغفرة، الأمر الذي جعل من النّابغة أشعر شعراء الجاهليّة في فن الاعتذارات، من ذلك قوله يعتذر للنعمان و يمدحه:

أتاني أبيت اللّعن أنّك لمتني   وتلك التي أهتم منها وأنصب
فبتُّ كأنَّ العائدات فرشنني   هراسا، به يعلى فراشي ويُ قشَبُ
حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

(**الذبياني، 2004، ص 23**).

واضح من خلال هذه الأبيات التي يعتذر فيها النابغة للنعمان بن المنذر أنَّ الشّاعر خبير بمواقع الكلام، يعرف كيف يضع الألفاظ في أماكنها، ليؤدي قيمتها الفنيّة المرجوة، فالشاعر بعد أن حيا الملك في البيت الأول، ينتقل إلى البيت الثاني ليصّور هموم هذا الملك وأحزانه محاولا التخفيف من تلك الآلام، ثم يحلف له في البيت الثالث أنه برئ من وشايات المبغضين ليزيل الشكّ عنه.

ومما لا شك فيه أن النّابغة في هذه القصيدة عمد إلى ترتيب ألفاظه ومعانيه وتنسيقها بالشّكل الذي جعل من قصيدته تخرج في أبهى حلة، حيث أولى المقدّمة عناية خاصة جعلت من قصيدته تمتاز بحسن الديباجة، فهو لم يكتف عند هذا الحد من اعتذارياته، بل قدّم العديد من الاعتذارات بلغ فيها مراتب فنية رفيعة المستوى، وتعدّ "الدَّالية" أشهر اعتذاراته، وقد عدّها التبريزي من المعلقات (**الحسين،: 2006، ص 352**).

ففي هذه القصيدة تصّرف الشّاعر بفنون مختلفة من وصف وقصص ومدح واعتبار والتي يقول في مطلعها:

يا داريَّةَ بالعلياء فالّسند   أقوتْ، وطال عليها سالفُ الأبدِ.

(**الذبياني، 2004، ص 47**).

فالشاعر في هذه القصيدة التي يمدح فيها الملك النعمان ومعتذرا له، أبدى براعة فنية فائقة، افتتحها بديباجة طللية رائعة، جمعت إلى جانب جودة الألفاظ وحسن تنسيقها، معاني كثيرة جيدة، صيرت النابغة يتفوق في مـــدح الملوك، فوفّق إلى اكتساب ودّهم.

لقد تطرق ابن رشيق في كتابه: "العمدة" إلى الشّروط الواجب توفرها في الشّعر الذي يجود ابتداءاتـــه، بحيث تجعله شاعراً قويا مفلقا: «وبعد فإنّ الشعر قفل أوله مفتاحه،و ينبغي للشّاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنـــه أوّل ما يقرع السّمع، وبه يستدلّ على ما عنده من أوّل وهلة، ويجتنب ألا، وخليلي، وقد، فلا يستكثر منهـا في ابتداءاته، فإنها من علامات الضّعف والثكلان، إلاّ للقدماء الّذين جرو على عرف وعمـلوا على شاكلـة، وليجعـله حلـوا سهلا، وضخم جزلا».(**القيرواني، 1981، ص217**).

وينقل لنا حازم القرطاجني أهم الصّفات التي يشترطها النّقاد لجودة المبادئ وحسنها، فيقـول: « ويجب أن تكون المبادئ جزلة، حسنة المسموع والمفهوم، دالة على غرض الكلام وجيزة عامـة، وكثـيرا ما يستعمـلون فيها النداء والمخاطبة والاستفهام، ويذهبون بها مذاهب من تعجيب وتهويل، أو تقرير أو تشكيك أو غـــير ذلك...» (**القرطاجني، 1986، ص 305**).

وعليه فحازم يرشدنا إلى شروط جودة المبادئ، وهي أن تكون جزلة قوية، بعيدة عن التعقيد والغرابة، بحيث يكون وقعها في السَّمع حسنا، كذلك ينبغي أن تكون الألفاظ وجيزة وافية بالغرض رغم إيجازها، مع التنـــويع في أساليب التعبير من نداء أو مخاطبة أو استفهام وغيرها.

كما حرص النّقاد على وجود الشّعر متمثلا في الجزالة، والبعد عن التكلف المقيت، وأكّدوا على ضرورة ابتعاد الشّعر عن الجفاف، وأن يكون موحيا بمعانيه وتشبيهاته، وهذا ما أطلقوا عليه كثرة الماء والّرونق، وعلى هذا الأساس قدّم بعض النقاد النّابغة لأنه كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق الكلام.

فالنّابغة الذي اعتاد على تقديم أجمل الصّور الشّعرية، كان يهدف إلى إثبات حضوره الفاعل على ساحة الشعر وساحة النّقد معاً، ومهمات الحضور كشاعر ملفق ومحلق اقتضت منه أن يكون ذا عقل راجح، وذوق سليم، متخلصا بصورة إجمالية، « من غموض الأفكار واضطراب التنسيق، وتعقد التّعبير وما على ذلك من شوائب الشّعر». (**الحسين، 2006، ص 353**).

وهكذا امتاز شعر النابّغة بحسن الدّيباجة وكثرة الماء والّرونق، فقد كان بصيراً بمواقع الألفاظ والمعاني مما جعل الكثير من النقاد، وحتّى الشّعراء يفضلونه على سائر الشعراء، فقد أجاد بحق في فني المديح والاعتذار، حتّى عدّه القدماء أشهر النّاس إذا رهب.

2.2 جزالة شعره:

لقد عدّت جزالة شعر النابغة الذبياني أحد المعايير الفنية التي اعتمدها ابن سلام في تقديم النّابغة، وجعله ضمن الطبقة الأولى الجاهلية. فقد قرنه بامرئ القيس وزهير والأعشى، لأنه في نظر المعجبين به كان أجزلهم شعرا. وفيه يقول ابن سلام مشيدا بالنابغة، ومعتدا على آراء من سبقه من العلماء: «... وأجلهم بيتا، كأنّ شعره كلام ليس فيه تكلف، والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشّاعر، وقال الشّعر بعدما أسّن واحتنك، وهلك قبل أن يهتر». (**الجمحي،2001، ص56**).

فهؤلاء العلماء فضّلوا النّابغة لاتصاف شعره بالجزالة، وبعده عن التكلف المقيت بحيث نجد في أبيات شعره لوحات فنية رائعة، وهذا لاعتماده على الألفاظ الموحية القّوية التي جعلت من شعره يحظى بإعجاب الكثير من النقاد. فها هو الخليفة عمر بن الخطاب يواكب أذواق علماء الكوفة مبديا إعجابه هو الآخر بجودة شعر النّابغة وجزالته، فقد روي عنه أنه قال:

«*أي شعرائكم يقول: فلست بمستبق أخالا تلمه على شعث أيّ الرجال المهذّب*

قالوا: النابغة، قال هو أشعرهم». (**القرشي،1967، ص 80**).

فالخليفة عمر أعجب ببيت النّابغة هذا لجزالته، ولما فيه من الحكمة البالغة، فالشّاعر أفصح على أن الإنسان لا يمكن أن يخلو من كّل عيب، وإلاّ أصبح ملكا، لذا فمن يقّوم هـذه العيـوب ويصلحـها في الشخص فلـيس بمستبقيه صديقا له. لذا حظي النابغة بإعجاب الخليفة عمر بن الخطاب؛ بحيث جعله أفضل شعراء غطفـــان، بل أفضل شعراء العرب كافة.

كما روي أن رجلا قام إلى ابن عباس فقال: أيّ النّاس أشعر؟ فقال ابن عباس: أخبره يا أبا الأسود الدؤلي، قال الذي يقول:

فإنك كاللّيل الذي هو مدركي وإن خِلت أن المنتأى عنك واسع. (**الأصفهاني، 1952، ص180**) .

فأبو الأسود يفضل النّابغة على سائر الشعراء في هذا البيت، وهذا لجزالته وقّوته، بحيث استطاع أن يصـّور خوفه ورهبته من النعمان بن المنذر، وذلك بأن شبهه بالليل الذي أطبق بظلمته، بحيث يكون في هذه الحالة مخيفا ومرهبا، وهذه صورة رائعة أبدعها النابغة فنالت إعجاب الدؤلي.

وروي عن الشعبي أنه قال: « دخلت على عبد الملك وعنده رجل لا أعرفه، فالتفت إليه عبد الملك فقال: من أشعر النّاس؟ فقال: أنا، فأظلم ما بيني وبينه، فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فتعجب عبد الملك من عجلتي! هذا الأخطل، فقلت: أشعر منه الذي يقول:

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التّمام.

فقال الأخطل: صدق يا أمير المؤمنين النابغة أشعر مني». (**بن قتيبة، 1981، ص76**).

فالأخطل على قدره وشاعريته، يعترف أمام الخليفة عبد الملك بأن النّابغة أشعر منه في هذه القصيدة التي مدح فيها الجفني، وهذا للمبالغة في مدحه موظفا في الآن نفسه ألفاظا جزلة قوية.

إضافة لكل ما سبق نجد للنابغة أبياتا يمدح فيها عمر بن الحارث الغساني، واصفا جيشه، من أكثر الأبيات جزالة ودقة تصوير؛ حيث فصل الصورة وكشف عن جوانبها كشفا دقيقا، وهذا في قوله:

إذا ما غزو بالجيش، حلق فوقهم عصائب طير، تهتدي لعصائب
يصاحبنهم، حتى يغرن مغارهم من الضّاريات، بالدماء، اللّوراب
ترهم خلف القوم خزرا عيونها جُلوسَ الشيوخ في ثياب المرانب.

(**الذبياني، 2004، ص 31**).

إنَّ هذه العناية البالغة بالمعاني والألفاظ كان يؤازرها عنده عناية بالصّور وما ينطوي فيها من تشبيهات واستعارات، فلا نلحظ عنده الكثير من الصّور فحسب، بل نجد أيضا القدرة على الابتكار والتجديد، ومفاجأة السامّع بالأخيلة التي تخلب لبّه، كما كان له ذوق جيد في اختيار صّوره ومعانيه جميعاً، ذوق هذّبته الحضارة التي نعم بها في الحيرة وبلاط الغساسنة، لذا نجده رقيق الحس، فهو يأتي في مديحه

ورثائه بمعاني حضـــارية غير مألوفة للجاهلين جعلته يبدع ويبتكر في الصّور والمعاني والأخيلة. من ذلك أبيات يصف فيها المرأة بلغت صورتها الفنية مكانة عالية جعلته يبتكر هذه المعاني ويحرز فضيلة السّبق إليها (**الحسين، 2006، ص 352**) ، وهذا في قوله:

غّراء أكمل من يمشي على قدم حُسنا وأملُح من حاورتَه الكَلِما

(**الذبياني، 2004، ص 109**).

فقد وصفها بأنها أجمل النساء حسنا، وأملحهن حديثا، فهي امرأة مثال بيضاء، كاملة الحســن، يظهر هــذا الكمال في مشيتها، كما أنها تجيد الحديث والحوار، فتطرب لسماعها، ويستهويك كلامها، فهي حقا صورة مثالية للمرأة جمع فيها جّل مناحي الجمال لحسي والمعنوي للمرأة في بيت واحد، فكان من أجود أبياته.

ويستجاد له قوله في صفة المرأة:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوده العّودِ

(**بن قتيبة، 1981، ص79**).

فهو يصف المتجردة زوجة النعمان بن المنذر بأنها لا تقدر على الكلام بحاجتها مخافة أهلها، كالسَّقيم الذي ينظر إلى زّواره ولا يستطيع الكلام.

من هنا يتضح أن قيمة شعر النابغة تقوم إلى حد كبير على مقدرته الوصفية، كما تقوم على نضجه الفكري، وترابط معانيه، فهو يحسن تقسيم قصيدته، ويحسن الانتقال من موضوع لآخر، كما يجيد عــرض رأيــه وإشفــاعه بالحجج المقنعة، مما يؤكد على شاعريته، وبراعته الفنية في أشعاره، فهو وصاف ماهر، مسلح بعين يقضة للتفاصيل الدقيقة، والألوان، والأشكال والحركات. يحسن التشبيه والتصوير، كما

يمتـاز بالاستطراد الـذي يقـوم عـلى تشبيه شيء بآخر وترك المشبه والمضي في وصف المشبه به والإسهاب فيه.

فالشاعر الذي جمع في شخصيته كافة عناصر الشّعر الـذي بلغ درجـة سامية، كان صـاحب شعور رقيق ولطيف، إذا ما تملكته عاطفة قوية، تدعوه للإشفاق أو تدعوه للحماسة أو تحضه على الرهبة. (**الحسين، 2006، ص 353**)

يقول النابغة معتذرا للنعمان

أتاك يقول هلهل النّسج كاذب ولم يأت بالحق الذي هو ناصع
حلفت، فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمه وهـــو طائع
تكلفني ذنب امرئ وتركـــته كذي القر يكوى غيره، وهو رائع

(**الذبياني، 2004، ص ص 125، 126**).

فالنابغة في هذه الأبيات قد أبدع في تصوير الفرية التي جاء بها عدوه، مشبها إياها بالثوب الضعيف النّسج، فكلاهما لم يأت بالحق المبين، كما أنه لم يترك موضع ريبة إلا فنّدها وأبطلها، متسائلا كيف يأثم من لـــه دين مثله طائعا مختارا فيحلف كذبا، لينتقل في البيت الثالث إلى تصوير هذا الوثني الذي تركه النعمان يتمتع بعطفه وحمـــاه مشبهه بالبعير الأجرب، الذي يكوى سواه وهو راتع في بحبوحة وأمن. فهذه الأبيات أظهرت ما للنابغة من مقدرة فنية فائقة على تصوير الأشياء، خاصة إذا تعلق الأمر بالاعتذار، الذي فـاق فيه جميـع الشعراء؛ لـذا رأى بعـض النّقاد في النّابغة أنه أشعر الشعراء إذا رهب.

فمما لاشكّ فيه أن النابغة يستحق تلك المكنلـة التي وضعها إيـاه النّقاد والـرواة بتأييد مـن ابن سلام، فهـو مصّور بارع، سلك في سبيل الصور وجلائها أشكالا مختلفة، فأحيانا يستخلص الصور مما يحيط به دون اللجوء إلى الاستعارة، أو المجاز، أو

التشبيه،بل يصـّور الـواقع كما هــو، دون اعتماد الخيــال، هدفـه إبراز الحقيقة في صورتها الناصعة، فكانت بذلك صنعة حقيقية تدل على مقدرة فــذّة عـلى إبراز الصّـور الشعرية في أدق تفاصيلها. (**الحسين، 2006، ص 353**).

كما أنه شاعر مطبوع تفوق بأغراض الشعر عامة، وفي المديح والاعتذار والسياسة خاصة. بحيث امتاز في قصائده بالتوافق بين المعاني والألفاظ، الأمر الذي جعل ابن سلام يصفه بقوله أنه كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا.

وعليه فابن سلام، وغيره من النقاد القدامى قدموا النابغة الذبياني، مجاراة لرأي العلماء السّابقين الذين وجدوا في شعره جملة من الخصائص الفنية أهلته لتبوأ هذه المكانة العالية في الشّعر.

خاتمـــة:

من خلال ما سبق يمكن أن نخرج بالنتائج والاستنتاجات الآتية:

1. قدّم النقاد القدامى امرأ القيس كونه سبق الشّعراء إلى أساليب تعبيرية جديدة لم يطرقها أحد قبله، فقد كان أول من وقف واستوقف، على الأطلال، بالإضافة إلى ابتداعه طرائق تعبيرية جديدة، كتشبيه النساء بالضباء
2. عدّ ابن سلام الجمحي امرأ القيس أفضل شعراء الجاهليين لجودة تشبيهاته التي بلغت مراتب عالية من حيث الجودة الفنيّة، بحيث استطاع الشاّعر فيها المقاربة بين المشبه والمشبه به، كما لاقت تشبيهاته استحسانا عند غالبية النقاد القدامى، والتي أخذها من الطبيعة.
3. أشاد النقاد القدامى بشعر النابغة الذبياني، بحيث بوؤوه مكانا عاليا في الشعر، وهذا بفضل براعته الفائقة على قول الشعر، الذي اتسم بحسن ديباجته ورونق كلامه وتزيينه. فقد كانت قصائده تفتتح افتتاحا حسنا، كما كان بصيراً بمواقع الألفاظ والمعاني، مما جعل الكثير من النقاد، يفضلونه على سائر الشعراء، وهذا لإجادته في فني المديح والاعتذار.
4. فضّل العلماء والنقاد النّابغة الذبياني لاتصاف شعره بالجزالة، وبعده عن التكلف المقيت، بحيث نجد في أبيات شعره لوحات فنية رائعة، وهذا لاعتماده على الألفاظ الموحية القّوية، والمعاني المعبرة، فالمتتبع لشعره لا تقع عينه على لفظة نابية أو معنى مبتذل. فهذه العناية البالغة بالمعاني والألفاظ كان يؤازرها عنده عناية بالصـّور وما ينطـوي فيهـا من تشبـيهات واستعارات، فلا نلحظ عنده الكثير من الصّور فحسب، بل نجد أيضا القدرة على الابتكار والتجديد.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الجمحي، (2001). **طبقات فحول الشعراء** ، تحقيق : محمود شاكر، القاهرة: مطبعة المدني.
2. قصي.(2006). **شعر الجاهلية وشعراؤها** (ط1). طرابلس، لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب.
3. القيس، بن حجر الكندي. (1989). **الديوان**، تحقيق : حنا الفاخوري، (ط1). بيروت، لبنان: دار الجيل.
4. رشيق، القيرواني. (1981). **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، بيروت، لبنان: المكتبة العصرية صيدا.
5. ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم. (1981). **الشعر والشعراء** ، تحقيق : مفيد قميحة، مُحَمَّد أمين الضناوي، بيروت، لبنان.
6. حبيب بن أوس الطائي. (1997). **ديوان أبي تمام** ،شرح :محي الدين صبحي (ط1). بيروت، لبنان: دار صادر.
7. محمود صابر. (2006). **الذوق الأدبي وتطوره عند النقاد العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري** (ط1). مصر: دار الوفاء.
8. الزوزني، (2005). **شرح المعلقات السّبع** (ط1). بيروت، لبنان: دار الفكر.
9. القرشي، بن أبي الخطاب. (1967). **جمهرة أشعار العرب**، تحقيق: علي كافور، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
10. (الجرجاني،(1966). **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تح: مُحَمَّد إبراهيم، علي مُحَمَّد البجاوي، بيروت، لبنان: المكتبه العصريه.
11. الباقلاني، بن الطيب. (1997). **إعجاز القرآن**، تح: عماد الدين أحمد حيدر، (ط5). مصر: دار المعارف.
12. ابن جعفر، قدامة. (1963). **نقد الشعر**، تح: كمال مصطفى، (ط3). القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.
13. زغلول سلام، (1990). **مدخل إلى الشعر الجاهلي**: دراسة في البيئة والشعر (ط1). الإسكندرية، مصر: منشأة المعارف.

14. ناصف، (1981) **قراءة ثانية لشعرنا القديم** (ط2). بيروت، لبنان: دار الأندلس.
15. ضيف،. (2008). **تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي**(ط8). مصر: دار المعارف.
16. الذبياني، بن معاوية. (2004). **الديوان**، شرح: حنا نصر الحتّي(ط2). بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
17. الأصفهاني، (1952). **الأغاني** (ط2). بيروت، لبنان: دار الفكر. ج7.